

تمتاز مكة عن سائر المدن والبلدان بخصائص فذة وميزات فريدة؛ وذلك لما حباها الله تعالى به من موقع متميز، ودور فعال في تاريخ البشرية وتاريخ المسلمين على وجه الخصوص.

من هنا أودّ الإشارة إلى بعض تلك الخصائص التي ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم، وهي كما يلي:

١- مكة أم القرى:

﴿... وَ لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ...﴾ ؛
﴿... لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى ...﴾ ١

فقد ورد عن المؤرخين أنه عندما كان الماء مشتملاً الكرة الأرضية برمتها، ظهرت فيها بقعة من اليابسة، ثم توسعت شيئاً فشيئاً، وقد سمّي يوم ظهور اليابسة (دحو الأرض)

وهو يعادل في السنة القمرية الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة.

وقد أشارت المصادر الدينية إلى هذه المسألة، واعتبرت البقعة الظاهرة من اليابسة هي محل الكعبة المشرفة، وأنّ الأرض توسّعت من ذلك المكان.^٢

وجاء في بعض الأدعية ما يدلّ على ذلك ومنه: «اللَّهُمَّ داحي الكعبة».^٣

كما يؤيد ذلك نظريات علم الأرض الحديثة (الجيولوجيا) التي تقول: إنّ قارّات العالم انفصلت من نقطة تقع في حدود أفريقيا وشبه الجزيرة العربية.^٤

ومما يجدر ذكره أنّ مكان الكعبة الحالي يقع في مقابل (الضراح) أو البيت المعمور

حيث قال: ﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا
الْبَلَدَ...﴾^٧

٣ - البلد الأمين:

تمتاز هذه المدينة المقدّسة
وحدود الحرم في أطرافها
بالأمن، فليس لأحد الحقّ أن
يدنّس المكان بالظلم والجور،
وكلّ من التجأ إليه فسيكون في
كامل الأمن والأمان، ويشمل
ذلك الحيوان والنبات، فلا يجوز
لأحد أن يتعرّض لها بالإساءة
والأذى، فلا يقتل حيواناً أو
يؤذيه، ولا يقطع نباتاً فيسلب
منه الحياة، قال تعالى: ﴿...
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ...﴾^٨ وقال
أيضاً في آية أخرى: ﴿وَهَذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^٩

ويؤكد في آية ثالثة أنّ من
انتهك حرمة الحرم؛ سيواجه
بانقمام إلهي أليم، قال تعالى:

الذي عند العرش، وهذا الأمر -
وما سبقه - يدلّان على أنّ
للكعبة محوريةً في عالم الخلق
والوجود وفي الأرض.^٥ وقد
جاء في الرواية:

«... وَوُضِعَ الْبَيْتُ فِي وَسْطِ
الْأَرْضِ لِأَنَّهُ الْمَوْضِعُ الَّذِي مِنْ
تَحْتِهِ دُحِيتِ الْأَرْضُ، وَلِيَكُونَ
الْفَرَضُ لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ وَ
الْمَغْرِبِ فِي ذَلِكَ سَوَاءً...»^٦

٢ - مكة تحظى بدعاء إبراهيم الخليل عليه السلام:

أسهمت مكة خلال تاريخها
العتيق في عطاء حضاري
كبير، وذلك في أعقاب
دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام فقد
أصبحت مدينةً أو بلداً يؤسّس
لحضارة دينيةً في بقعة جبلية،
وواد غير ذي زرع، وهو الذي
أراده إبراهيم عليه السلام في دعائه

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدِقُهُ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ١٠

﴿فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي
إِلَيْهِمْ...﴾ ١٣

٤ - سلامة الاقتصاد والموارد:

ومن الخصائص الأخرى التي تتميز بها هذه المدينة المقدسة، أنّ سكانها يتمتّعون باقتصاد سالم وموارد طيبة، أعطاهم الله تعالى هذه النعمة المباركة، قال تعالى: ﴿... وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...﴾ ١١ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿... يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا...﴾ ١٢

٦ - تساوي الناس فيها:

فالذين يردون مكة المشرفة لأداء المشاعر من غير أهلها، لا فرق بينهم وبين المقيمين فيها، قال تعالى: ﴿... سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي...﴾ ١٤ وقد جاء في الرواية: «فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحجّ إليه من غير أهله». ١٥

٧ - أولياؤها من المتقين:

وجاء في الكتاب الكريم أنّ المتولين لهذه المدينة يجب أن يكونوا من المتقين الصالحين، قال تعالى: ﴿... وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ...﴾ ١٦ وسرّ هذه المسألة هو أن مكة والمسجد الحرام والكعبة ليست

٥ - اشتياق القلوب إليها:

ومن خصائصها أنّ قلوب ملايين المسلمين تهفو إليها، وفي كلّ عام يحظى بعضهم بالتوفيق لحضور المشاعر المقدسة فيها، قال تعالى:

مجرّد مدينة أو أثر تاريخي يتوجب على المتصدّين له أن يبذلوا الجهد لحفظه وصيانته وحسب، بل هي قاعدة الهداية والتربية، ومركز إشعاع للعلم والثقافة، ومنه ينتقلان عن طريق الحجيج إلى أنحاء العالم كافّة.

٨ - فيها أوّل بيت وضع للناس:

فمن خصائص هذه المدينة المقدّسة وقوع الكعبة فيها، وهي أوّل بيت وضع للناس، ونتيجة ذلك هو أنّ كلّ مسلم له تعلق خاصّ ببيته الذي هو بيت الله سبحانه، فلا يشعر بالغربة فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾ ١٧.

٩ - هدى للعالمين:

فالكعبة منار هدى ومركز

إشعاع للهداية الدينيّة إلى أرجاء العالم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ... وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

والرسول ﷺ رسالته عالمية هي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ١٨. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ١٩.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى لهداية عموم البشر: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ...﴾ ٢٠. ﴿...إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ٢١. وبناءاً على ما تقدّم فإنّ الإسلام دين عالمي، والرسول ﷺ إنّما بعث لهداية الناس كافّة، ومثل هذا الدين يحتاج إلى مركز ثابت وغير قابل للتحوّل والتغيير، كي يستطيع محبّو هذا الدين ومؤيّدوه أن يجتمعوا في هذا المركز، ويتحدّثوا في

المسائل العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة والدينيّة، ويتبادلوا الخبرات ووجهات النظر المختلفة التي تسهم في حلّ مشكلاتهم، والصعوبات التي تعتري حياتهم، قال تعالى: ﴿وَ أَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ ٢٢.

من هنا جعل الله سبحانه رابطة تشدّ المسلمين إلى هذا المركز، فهم يتوجّهون إليه كلّ يوم خمس مرّات عند إقامة الصلاة، ويجعلون وجوه موتاهم إليه عند الدفن.

١٠ - الكعبة طاهرة مطهرة:

فالكعبة والمسجد الحرام مطهّران بأمر الله تعالى من

كلّ دنس ورجس، ومن يدخل البيت الحرام فإنّه يطهّر من الذنوب، ويردّ إلى أهله وهو «مغفورٌ له كلّ ذنب». ٢٣ كما ورد في الحديث.

والأمر في هذه الطهارة هو من عند الله تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ٢٤.

ولو أردنا أن نستلهم من الكتاب الكريم، لندرك دور المسجد في تطهير المؤمن، فإننا سنجد أنّه يقول حول بناء مسجد قبا: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّوْحَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ ثم يقول: ﴿... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا...﴾ وفي النتيجة: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ ٢٥.

ومنه نستنتج أنّ هذا البيت

الصادق عليه السلام عن هذه الحقيقة القرآنيّة بقوله: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة». ^{٢٧} ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لأولاده وأصحابه: «الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنّه إن ترك لم تُناظروا...» ^{٢٨} وجاء أيضاً في حديث آخر: «أما إنّ الناس لو تركوا حجّ هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نواظروا». ^{٢٩}

نستخلص مما تقدّم أنّ عدم الاعتناء بالكعبة وأنّ إهمال الحجّ نقض للعهد مع الله سبحانه، وإهمال لأحد أركان ديننا المهمّة، ولا ريب أنّ لإهماله دوراً تخريبياً كبيراً في إضعاف قواعد الإسلام وتبديد قواه، لذلك اتّخذت وسائل في هذا المجال؛ منها: أنّه على الدول الإسلاميّة في حال عدم

بُني حتى يدخله المسلمون، ويطهّروا أنفسهم من أدران الشرك والذنوب، لينالوا محبّة خالقهم.

١١ - الكعبة قيام للناس:

فقد جعل القرآن الكريم بقاء المجتمع الإسلامي رهناً ببقاء الكعبة، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ...﴾ ^{٢٦}

هذه الآية تبيّن أنّ الناس إذا اهتمّوا بالحجّ والكعبة واستفادوا من هذا التجمّع الديني الكبير على طريق تحقّق أهداف الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله فإنّ حياتهم الماديّة والاجتماعيّة والسياسيّة ستصان من التفرّق والاختلاف، وتحفظ من التشتّت والانفصال، وقد عبّر الإمام جعفر بن محمد

الاعتناء بالحج، وترك زيارة بيت الله الحرام أن يرسلوا المسلمين إلى الحج، ويُنفقوا عليهم من بيت المال، كي لا يبقى بيت الله مهجوراً. ٣٠

١٢ - الكعبة بيت عتيق:

فهي بيت حُرٍّ، وهي محور الحريّة، قال تعالى: ﴿...وَ لِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيُطَوُّوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾. ٣١

ويقول الإمام الباقر عليه السلام حول سبب تسمية الكعبة بالبيت العتيق: «هو بيت حُرٍّ عتيق من النَّاسِ لم يملكه أحد». ٣٢

وبما أنّ الكعبة محور التوحيد، والتوحيد ينطوي على التخلص من كلّ أنواع العبوديّة إلاّ الله تعالى، لذا يمكن القول: إنّ الكعبة محور الحريّة، يقول الإمام علي عليه السلام: «وَلَا تَكُنْ عَبْدًا

غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا». ٣٣

١٣ - الكعبة مثابة للناس:

إذ هي مرجع ومأمن للناس كافّة، قال تعالى: ﴿وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا...﴾. ٣٤ فالذي يتوجه إلى البيت ويزوره فكأنّما عاد إلى وطنه الأصلي وبالنتيجة عاد إلى أصله.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً لمكة: «إني لأعلم أنّك حرم الله وأمنه وأحبّ البلدان إلى الله تعالى». ٣٥

وعنه صلى الله عليه وآله وكان واقفاً بالحزورة، ٣٦ في سوق مكة: «والله إنّك لخير أرض الله، وأحبّ الأرض إلى الله عزّ وجلّ، ولولا أنّي أُخرجتُ منك ما خرجتُ». ٣٧

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «أحبّ الأرض إلى الله تعالى

مكة، وما تربة أحب إلى الله عزّ وجلّ من تربتها، ولا حجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من حجرها، ولا شجر أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من شجرها، ولا جبال أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من جبالها، ولا ماء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من مائها...»^{٣٨}

مكة موضع لإقامة الحجّ ومحور نشر الثقافة الدينية:

تمتلك مكة المقدّسة خصائص الشرف ومقومات العظمة من جهة، كما حظيت من جهة أخرى بأهمية أكثر لإقامة مراسم الحجّ فيها، فالحجّ هو الذي جعل من هذه المدينة محوراً وعمق أثرها الثقافي والأخلاقي في العالم الإسلامي، وأهلها لأداء هذا الدور على أحسن وجه.

لقد أوجب الله تعالى الحجّ على المستطيع من الناس في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾^{٣٩} لكي يجتمع المسلمون في موسم الحجّ كلّ عام وفي أيام خاصّة من كلّ أرجاء العالم عند هذه البقعة المقدّسة، فيؤدّوا مناسك فريضة الحجّ، وتلك الفريضة واجبة على كلّ مسلم مستطيع مرّة واحدة في حياته، ولهذا قيل لها: «عبادة العمر».

إنّ الروايات والأخبار الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام والمتعلّقة بثمرات وبركات الحجّ، تبين أنّ الحجّ قاعدة أساسية للتحوّل الروحي والأخلاقي للمسلمين؛ ففي كلّ عام يجب على من تتوفّر فيهم شروط الاستطاعة أن يؤدّوا المناسك المقدّسة،

بركات الحج

إذا أنجز الحاج حجّه إلى بيت الله بشكل صحيح تُراعى فيه الآداب الخاصّة بالحجّ والمشاعر، وبعبارة أخرى إذا أدّى مشاعر الحجّ بشرطها وشروطها، فسوف تترتب عدّة آثار وثمرات مهمّة يستفيد منها الحاج في دنياه وآخرته، وفيما يلي نذكر بعضها:

١ - غفران الذنوب:

إنّ الحاج حينما يؤدّي المناسك ويعيشها، يشطب على ماضيه غير الصحيح بخطّ البطلان، ويمهد الطريق لحياة صحيحة يراعى فيها الدين ومبادئه الحقّة.

قال رسول الله ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَكُلَّمَا رَفَعَ قَدَمًا وَوَضَعَ

ويطهّروا أنفسهم من الذنوب، ويتعدوا عن الخطايا التي اقترفوها، ويختاروا النهج الصحيح في الحياة، ثم يعودوا فينقلوا هذا التحوّل إلى عوائلهم وأصدقائهم ومعاريفهم في أماكن مختلفة من العالم، وبذلك يسهم الحجّ في بسط التهذيب الخلقي والروحي للمسلمين. ولأجل توضيح الموضوع لابدّ من الإشارة إلى بعض الثمرات والنتائج المترتبة على الحجّ، والواردة في الأحاديث والروايات المنقولة عن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام.

قَدَمًا تَنَاطَرَتِ الذُّنُوبُ مِنْ بَدَنِهِ
كَمَا يَتَنَاطَرُ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ،
فَإِذَا وَرَدَ الْمَدِينَةَ وَصَافَحَنِي
بِالسَّلَامِ صَافَحَتْهُ الْمَلَائِكَةُ
بِالسَّلَامِ، فَإِذَا وَرَدَ ذَا الْحُلَيْفَةِ،
وَاعْتَسَلَ طَهْرَهُ مِنَ الذُّنُوبِ،
وَإِذَا لَبَسَ ثَوْبَيْنِ جَدِيدَيْنِ

جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ» ٤٠

وقال الإمام جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام: «من حجَّ يريد الله
عزَّوجلَّ ولا يريد به رياءً ولا
سمعةً غفر الله له البتة» ٤١
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من حجَّ
البيت فلم يرفث ولم يفسق،

محالسة النيران والصالحين

الأمن من العذاب علو الدرجات في الجنة

نفي الفقر النورانية
دخول الجنة استجابة الدعاء
بركات الحج

سلامة الأبدان غفر الذنوب

طمأنينة القلب الحصول على خير الدارين

الوقاية من الهلاك والعذاب

رجع كما ولدته أمه». ٤٢

ويقول أيضاً في حديث آخر: «مَعَاشِرَ النَّاسِ، مَا وَقَفَ بِالْمَوْقِفِ مُؤَمِّنٌ إِلَّا غَفَرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَى وَقْتِهِ ذَلِكَ فَإِذَا انْقَضَتْ حَجَّتُهُ اسْتَوْنِفَ عَمَلُهُ». ٤٣

ومما تقدّم نستنتج أنّ أداء الحجّ بشكله الصحيح الذي يقبله الله تعالى، يكون ثوابه غفران الذنوب والدخول في حياة جديدة ومنهج جديد.

٢ - دخول الجنة :

جعل تعالى ثواب الحجّ المبرور والمقبول دخول الجنة، ولعلّ السبب في ذلك هو أنّ صاحب البيت حينما يحلّ عليه أحدٌ ضيفاً، يسعى إلى أن يُقريه بأحسن ما لديه من الغذاء، وأن يوفّر له

أحسن الامكانيات المتاحة لديه، والحاج هو ضيف الله القاصد بيته، وهو تعالى العفو الكريم الذي لا يخيب من دعاه، ولا يردّ من رجاه، ونحن نخاطبه تعالى في الدعاء فنقول: «يا أكرم الأكرمين».

والجنة التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين والمحسنين، هي خير ما يحبو به ضيوف بيته، قال رسول الله ﷺ: «الحجّ المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة». ٤٤

٣ - النورانية :

إنّ الأفراد الذين يوفقههم الله لأداء فريضة الحجّ، يستطيعون أنّ يطهّروا نفوسهم ويغسلوا أرواحهم ببحر الحجّ الصافي الزلال، ويعودوا ثانية إلى الحياة، وقد استعادوا فطرتهم

أنّ العمرة هي الحجّ الأصغر، وأنّ عمرة خير من الدنيا وما فيها، وحجّة خير من عمرة». ٤٧

٥ - طمأنينة القلب:

من فلسفة تشريع فريضة الحجّ إقامة ذكر الله تعالى، فقد جاء عن رسول الله ﷺ في حديث: «إنّما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله». ٤٨

وجاء في القرآن الكريم أنّ ذكر الله تعالى باعث على طمأنينة القلب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٤٩﴾ ومع النظر إلى هذه المقدّمة وإلى ما قاله الإمام الباقر عليه السلام: «الحجّ تسكين القلوب»، ٥٠ يتبيّن أن إحدى ثمرات الحجّ طمأنينة القلب، التي تعدّ من أهمّ ما يحتاجه

الأوليّة، واكتسبوا نورانيّة قلوبهم، تلك النورانيّة هي أجرهم من الله تعالى، ويمكنهم المحافظة عليها بالعمل وفق مبادئ الإسلام ومنهجه القويم، ومن الواضح أنّ اقتراف الذنوب يقلّل من تلك النورانيّة، والاستمرار فيها يزيلها إلى الأبد، يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الحاج لا يزال عليه نور الحجّ ما لم يلمّ بذنب». ٤٥

٤ - الحصول على خير الدارين:

قال رسول الله ﷺ: «من أراد الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت، فما أتاه عبد يسأل الله دنيا إلا أعطاه الله منها، ولا يسأله آخرة إلا ادّخر له منها». ٤٦

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ لعثمان بن أبي العاص: «واعلم

أبناء البشرية في هذا اليوم.

٦ - مجالسة النبيين والصالحين:

قال الإمام الصادق عليه السلام:
«لما حجَّ موسى عليه السلام نزل عليه
جبرئيل فقال له موسى: يا
جبرئيل! ما لمن حجَّ هذا البيت
بنيّة صادقة ونفقة طيبة؟

قال: فرجع إلى الله تعالى،
فأوحى الله إليه: قل له:
أجعله في الرفيق الأعلى مع
النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً». ٥١

٧ - الأمن من العذاب:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه
قال: «من دخل هذا البيت عارفاً
بجميع ما أوجبه الله عليه، كان
أمناً في الآخرة من العذاب
الدائم». ٥٢

وعن الإمام جعفر
الصادق عليه السلام في قوله تعالى:
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ قال:
«من دخل الحرم من الناس
مستجيراً به فهو آمن من
سخط الله...». ٥٣

ويقول الإمام جعفر
الصادق عليه السلام: «... وعليكم بحجّ
هذا البيت فأدمنوه، فإنّ في
إدمانكم الحجّ دفع مكاره الدنيا
عنكم، وأهوال يوم القيامة». ٥٤

٨ - علو الدرجات في الجنة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحاج
في ضمان الله مقبلاً ومدبراً،
فإن أصابه في سفره تعب أو
نصب غفر الله له بذلك سيئاته،
وكان له بكلّ قدم يرفعه ألف
ألف درجة في الجنة، وبكلّ
قطرة تصيبه من مطر أجر
شهيدي». ٥٥

٩ - استجابة الدعاء:

ومن ثمرات الحج استجابة الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَةٌ: دُعَاءُ الْحَاجِّ فِي تَخَلُّفِ أَهْلِهِ، وَدُعَاءُ الْمَرِيضِ فَلَا تُؤْذُوهُ وَلَا تُضْجِرُوهُ، وَدُعَاءُ الْمَظْلُومِ»^{٥٦}. وقال في حديث آخر: «الْحَجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَقُدَّاءُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»^{٥٧}.

١٠ - نفي الفقر:

قال رسول الله ﷺ: «حَجَّوْا لَنْ تَفْتَقِرُوا».

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ... وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ

وَيَرْخِضَانِ الذَّنْبَ»^{٥٨}.

١١ - سلامة الأبدان:

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «حَجَّوْا وَاعْتَمَرُوا، تَصِحَّ أَبْدَانُكُمْ، وَتَتَسَّعَ أَرْزَاقُكُمْ، وَتَكْفُونَ مَوْوَنَاتِ عِيَالِكُمْ...»^{٥٩}.

١٢ - الوقاية من الهلاك والعذاب:

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «كَانَ فِي وَصِيَّةِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَدْعُوا حَجَّ بَيْتِ رَبِّكُمْ فَتَهْلِكُوا»^{٦٠}.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحَجَّ لَمَا نَوَظَرُوا الْعَذَابَ» أو قال: «أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ»^{٦١}. ومما تقدّم ذكره، وما يستفاد من الروايات المتعلقة بفلسفة الحجّ وأسرار أعماله المختلفة،

مثل: التوبة قبل السفر، ودفع الحقوق الماليّة، وتطهير الأموال، وتحصيل الإخلاص وإنجاز الأعمال لله، والتزوّد من أطيب الزاد، وإعانة الأصحاب، والاحتراز من العجلة، ومراعاة المرضى، واحترام الكبار، وحسن الخلق مع الصاحب في السفر، وعدم الإساءة إلى الآخرين، والتصدّق، وقراءة الدعاء عند الخروج من المنزل وعلى طول السفر وغيره... نستخلص أنّ الحجّ أحد القواعد المهمّة في تغيير الذات، وإحداث التحوّل الروحي والأخلاقي للفرد المسلم، وأنّ مناسك الحجّ هي في الحقيقة مناسك الحياة الإسلاميّة الصحيحة، ففي الحجّ تتمثّل الحياة الدنيا والآخرة جنباً إلى جنب، فهو تربية وتهذيب للنفس، وتربية

اجتماعية وسياسيّة، وهو باعث للشعور بالأخوّة، وتعلّم النظم والترتيب، وهو مجمع لتوحيد الآراء والقلوب في مجالات متعدّدة، وهو محور للقرب من الخالق والزلقى لديه تعالى، ولكلّ ذلك وغيره جعل الله تعالى الحجّ مركزاً لاجتماع المسلمين: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...﴾.

ومن مجمل ما ذكرناه يمكن القول: إنّ مكّة هي عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي، وهي قاعدة قويّة ومحكمة لتطهير الروح وسمو الأخلاق، فإذا أحسنّا الاستفادة من هذه الفريضة العظيمة، أمكننا بلوغ الأهداف المذكورة بكلّ يسر.

* * *

أخيراً، ولأجل حسن الختام لهذا المقال المتواضع، أذكر حديثاً للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يبين طريق وأسلوب الحجّ الصحيح، أو الحجّ المبرور.

قال الصادق عليه السلام: «إِذَا أَرَدْتَ الْحَجَّ فَجَرِّدْ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ وَحِجَابٍ، وَفَوِّضْ أُمُورَكَ إِلَى خَالِقِهَا، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، وَسَلِّمْ لِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ وَقَدْرِهِ، وَدَعِ الدُّنْيَا وَالرَّاحَةَ وَالْخَلْقَ وَاخْرُجْ مِنْ حُقُوقِ تَلْزِمِكَ مِنْ جِهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى زَادِكَ وَرَاحِلَتِكَ وَأَصْحَابِكَ وَقُوَّتِكَ وَشَبَابِكَ وَمَالِكَ مَخَافَةَ أَنْ يَصِيرَ ذَلِكَ عَدُوًّا وَوَبَالًا، فَإِنَّ مَنْ ادَّعَى رِضَى اللَّهِ وَاعْتَمَدَ عَلَى مَا سِوَاهُ صَيَّرَهُ عَلَيْهِ وَبَالًا وَعَدُوًّا، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا حِيلَةٌ وَلَا لِأَحَدٍ إِلَّا بِعِصْمَةِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، فَاسْتَعِدَّ اسْتِعْدَادَ مَنْ لَا يَرْجُو الرُّجُوعَ وَأَحْسِنِ الصُّحْبَةَ وَرَاعِ أَوْقَاتَ فَرَائِضِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَدَبِ وَالِاحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالشُّفْقَةِ وَالسَّخَاوَةِ وَإِيثارِ الزَّادِ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ اغْسِلْ بِمَاءِ التَّوْبَةِ الْخَالِصَةِ ذُنُوبَكَ، وَالْبَسْ كِسْوَةَ الصِّدْقِ وَالصِّفَا وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، وَاحْرِمِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَمْنَعُكَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَيَحْجُبُكَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَلَسْبَ بِمَعْنَى إِجَابَةِ صَادِقَةٍ صَافِيَةٍ خَالِصَةٍ زَاكِيَةٍ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي دَعْوَتِكَ مُتَمَسِّكًا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَطَفُ بِقَلْبِكَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَوْلَ الْعَرْشِ كَطَوَافِكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِكَ حَوْلَ الْبَيْتِ، وَهَرُولِ هَرَبًا مِنْ هَوَاكَ وَتَبَرًّا مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ،

وَإِخْرُجْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَزَلَّاتِكَ بِخُرُوجِكَ إِلَى مِنَى، وَلَا تَتَمَنَّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ وَلَا تَسْتَحِقُّهُ، وَاعْتَرِفْ بِالْخَطَايَا بِعَرَفَاتٍ، وَجَدِّدْ عَهْدَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ وَاتَّقِهِ بِمُزْدَلِفَةَ، وَاصْعَدْ بِرُوحِكَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى بِصُغُودِكَ إِلَى الْجَبَلِ، وَادْبَحْ حَنْجَرَةَ الْهُوَى وَالطَّمَعِ عَنْكَ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ، وَارْمِ الشَّهَوَاتِ، وَالْخَسَاسَةَ، وَالِدَّنَاءَةَ، وَالذَّمِيمَةَ عِنْدَ رَمِي الْجِمَارِ، وَاحْلِقِ الْعُيُوبَ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ بِحَلْقِ شَعْرِكَ، وَادْخُلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ وَكَنْفِهِ وَسِتْرِهِ وَكِلَاءَتِهِ مِنْ مُتَابَعَةِ مُرَادِكَ بِدُخُولِ الْحَرَمِ، وَدُخُولِ الْبَيْتِ، مُتَحَقِّقًا لِتَعْظِيمِ صَاحِبِهِ وَمَعْرِفَةِ جَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَاسْتَلِمِ الْحَجَرَ رِضَى بِقِسْمَتِهِ وَخُضُوعًا لِعِزَّتِهِ، وَدَعْ مَا سِوَاهُ بِطَوَافِ الْوَدَاعِ، وَأَصْفِ رُوحَكَ وَسِرِّكَ لِلِقَائِهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ بِوُقُوفِكَ عَلَى الصَّفَا، وَكُنْ بِمَرَأَى مِنْ اللَّهِ تَقِيًّا عِنْدَ الْمَرْوَةِ، وَاسْتَقِمْ عَلَى شَرْطِ حَجَّتِكَ هَذِهِ وَوَفَاءِ عَهْدِكَ الَّذِي عُوهِدْتَ بِهِ مَعَ رَبِّكَ وَأَوْجِبَتْ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَفْرَضِ الْحَجَّ وَلَمْ يَخْصَّهُ مِنْ جَمِيعِ الطَّاعَاتِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وَلَا شَرَعَ نَبِيَّهُ ﷺ سُنَّةً فِي خِلَالِ الْمَنَاسِكِ عَلَى تَرْتِيبِ مَا شَرَعَهُ إِلَّا لِلِاسْتِعْدَادِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبَعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَفَضْلِ بَيَانِ السَّبْقِ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَهْلِهَا، وَدُخُولِ النَّارِ أَهْلِهَا، بِمُشَاهَدَةِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا لِأُولِي الْأَبَابِ وَأُولِي النَّهْيِ» ٦٢.

الهوامش

١. الأنعام: ٩٢؛ الشورى: ٧.
٢. من لا يحضره الفقيه ٢: ١٢٤؛ تاريخ مكة المشرفة، لمحمد بن محمد بن أحمد بن الضياء المكي: ٣٤.
٣. إقبال الأعمال، السيد بن طاووس ٢: ٢٨؛ المصباح، الكفعمي: ٦٥٨.
٤. الحجّ من وجهة نظر الحقوق الدوليّة: ٢٠١، (باللغة الفارسية).
٥. تاريخ مكة المشرفة: ٣٥.
٦. من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩١.
٧. البقرة: ١٢٦.
٨. البقرة: ١٢٦.
٩. التين: ٣.
١٠. الحج: ٢٥.
١١. البقرة: ١٢٦.
١٢. القصص: ٥٧.
١٣. إبراهيم: ٣٧.
١٤. الحج: ٢٥.
١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن ٧: ١٢٧.
١٦. الأنفال: ٣٤.
١٧. آل عمران: ٩٦.
١٨. الفرقان: ١.
١٩. سبأ: ٢٨.
٢٠. البقرة: ١٨٦.
٢١. الأنعام: ٩٠.
٢٢. الحج: ٢٧.
٢٣. تهذيب الأحكام ٦: ١٢١.
٢٤. البقرة: ١٢٥.
٢٥. التوبة: ١٠٨.
٢٦. المائدة: ٩٧.
٢٧. الكافي ٤: ٢٧١؛ بحار الأنوار: ٩٦: ٥٧.
٢٨. نهج البلاغة، بتحقيق صبحي الصالح: ٤٢٢؛ بحار الأنوار ٤٢: ٢٥٦.
٢٩. بحار الأنوار ٩٦: ١٩؛ وسائل الشيعة ١١: ٢٢.
٣٠. علل الشرائع: ٣٩٦.
٣١. الحج: ٢٩.
٣٢. الكافي ٤: ١٨٩؛ علل الشرائع: ٣٩٩.
٣٣. نهج البلاغة، بتحقيق صبحي الصالح: ٤٠١.
٣٤. البقرة: ١٢٥.
٣٥. أخبار مكة للفلكهي ١٤٧١، ٢٦١؛ كنز العمال ١٤: ٣٨٠٣٩/٩٧.
٣٦. الحزورة: موضع بمكة عند باب الحنّاطين؛ النهاية ١: ٣٨٠.
٣٧. مسند أحمد ٦: ١٨٧٤٠/٤٤٩.
٣٨. من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٣.
٣٩. آل عمران: ٩٧.
٤٠. الحجّ في الكتاب والسنة: ١٤٨/٣٢٥.
٤١. وسائل الشيعة ١١: ١٠٩.
٤٢. الحجّ في الكتاب والسنة: ١٦٣/٣٩٢.
٤٣. سنن الدارقطني ٢: ٢٨٤.
٤٤. مستدرک وسائل الشيعة ٢: ٨.

٤٥. الكافي ٤ : ٢٥٥.
٤٦. مسند الإمام زيد: ١٩٧ .
٤٧. المعجم الكبير، للطبراني ٩: ٤٤٤ .
٤٨. الحجّ في الكتاب والسنة:
٢٨٠/١٣٣ .
٤٩. الرعد: ٢٨.
٥٠. بحار الأنوار ٧٥ : ١٨٣.
٥١. من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٣٥.
٥٢. عوالي اللآلي ٢ : ٢٧٧/٨٤.
٥٣. الكافي ٤ : ٢٢٦؛ والآية من سورة
آل عمران: ٩٦.
٥٤. أمالي الطوسي: ٦٦٨.
٥٥. كنز العمال ح ١١٨١٢ و ١١٨٤٠.
٥٦. الحجّ في الكتاب والسنة:
٣٨٦/١٦٢ .
٥٧. المصدر السابق، ح ٣٨٧.
٥٨. المصدر السابق، ح ٣٩٨ ، ح ٤٠٢.
٥٩. الكافي ٤ : ٢٥٢.
٦٠. المحاسن: ١ : ١٧٠.
٦١. الكافي ٤: ٢٧١.
٦٢. مصباح الشريعة: ١٤٢؛ بحار الأنوار
٩٩ : ١٢٤.